حول
الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم –، أما بعد:

فقد صدر من الأخ فؤاد الزنتاني كلمة في حقّ الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة –رضي الله عنه –وأنا لا أريد من كلامي المجادلة، ولا الإساءة إلى أحد، وإنما أريد بيان الحقّ، وما كنت أصلًا أريد أن أكتب في الموضوع بعد أن رأيت أكثر من ردّ على الأخ فؤاد الزنتاني، لكن لما سمعت تراجعه، وما فيه من عدم الإقرار بأنه أخطأ، وما فيه من التهكّم بالذين ردوا عليه، بأن بعضهم كذاب، وآخر تلميذ للكذاب، وآخر أخسّ من الحدادية، رأيت أن أدلّ الأخ فؤاد على موضع الخطأ في كلامه.

١ . يقول الأخ فؤاد في كلامه: "حاطب بن أبي بلتعة من مراسلة الكفار هذه خيانة تسمى الآن الخيانة العظمى للدولة".

ونلاحظ هنا أن الأخ فؤاد الزنتاني وصف فعل حاطب بكلمتين:

أ . قال: "هذه خيانة".

ب . وقال: "وتسمى الآن الخيانة العظمى للدولة".

ثم صدر للأخ فؤاد تراجع عن كلامه السابق، وهذا أمرٌ جيّد، ويفرح الشخص بمثل هذا التراجع، ولكنه نفى في تراجعه أنه قال في فعل الصحابي أنه خيانة عظمى، وقال: "أتكلم عن الآن في مصطلح العصر، وحدّدت ذلك قلت حتى في القوانين الوضعية الآن، وفي بعض دول الكفر، فأتكلم على الآن لا أتكلم عن الصحابي الجليل، لم أقل خان خيانة عظمى" ا.هـ

أقول:

صحيح أنك لم تقل في فعل حاطب "خيانة عظمى"، لكنك قلت في أول الكلام عن فعل حاطب: "إنه خيانة"، وهذا أيضًا إساءة في حق هذا الصحابي الجليل –رضي الله عنه –، ولم يصدر منك تراجع عن هذه الكلمة، وأنا لم أفتر عليك أحد، فأعد سماع الصوتية، واحكم بنفسك.

٢ . ذكر الأخ فؤاد في تراجعه بعض كلام الفقهاء، وأنهم استنبطوا من قصة حاطب أحكام الجاسوس، وغير ذلك.

ثم قال الأخ فؤاد: "فهل أخذهم أحكام الجاسوس من هذه القصّة هل هو طعن في حاطب بن أبي بلتعة، وأنه جاسوس؟".

وأقول:

أ . ليتك لم تقل في حاطب –رضي الله عنه –: "وأنه جاسوس"، وحاشاه –رضي الله عنه –أن يكون جاسوسًا، لأنه فعل ذلك اجتهادًا، وتأولًا.

ب . يا أخي فؤاد هناك فرقٌ بين استنباط الفقهاء الحكم من الأحاديث النبوية، أو من قصص السيرة، وبين أن تصدر من الفقهاء إساءة مباشرة، أو كلمات لا تليق في حقّ الصحابة –رضي الله عنهم –.

فقد استنبط الفقهاء أحكامًا تتعلّق بالجاهل، والعاصي، والجاسوس، ورجوع المرتد، ومن وقع في الشرك، والطائفة الباغية، وموالاة الكفّار، وأخذ المرأة النفقة من مال زوجها إذا كان زوجها لا يعطيها لبخل أو غيره، ومن وقع في

حدّ الزنى أو غيره من الحدود، واستلحاق الولد، وصبر النبيّ –صلى الله عليه وسلم –على غلظة الأعراب، وجلافتهم، ومداراته –صلى الله عليه وسلم –لبعض الناس، ونحو ذلك من القصص، فيُستنبط من هذه القصص الأحكام العقائدية، والفقهية، وغيرهما، ولكن القاعدة العامة في الفقهاء أنهم لا يطلقون أي وصف أو كلام قبيح في حقّ صحابيّ بعينه، أو في حق عموم الصحابة لما لهم من خصوصية يختلفون بها عن سائر الأمة.

٣ . عندما أراد فؤاد الزنتاني أن يتراجع قال في آخر الصوتية: "إذن ذكرت أنا، ذكرت هذا، أن حاطب وإن كان ما فعله وصفه عمر بأنه خيانة لله ورسوله، هذا وصف عمر، قال لقد خان الله ورسوله" بهذا اللفظ، ومع ذلك اعتذرت له بما اعتذر له العلماء، وما ذكره النبي –صلى الله عليه وسلم –أنه من أهل بدر، وأن الرجل قد صدق، وأنه من أهل بدر، طيب، فاعتذرت له بذلك، فإذن فأين الطعن في هذا الصحابيّ؟ أين الطعن في هذا الصحابيّ".

أقول:

وَصْف عمر لما فعله حاطب بأنه خيانة، ونفاق، وأنه يستحق ضرب العنق، كان قبل ذكر النبيّ –صلى الله عليه وسلم –المانع، فقد أخبر النبيّ –صلى الله عليه وسلم –أن حاطبًا من أهل بدر، وأن أهل بدر مغفور لهم، فنستفيد من ذلك أنه لا يُقال بعد تلك الحادثة في حق حاطب أبدًا، ولا يُعاد هذا الكلام، ولا يجوز حتى الاحتجاج بكلام عمر –رضي الله عنه –لأن النبيّ –صلى الله عليه وسلم –ذكر المانع من ذلك، وقد نصّ العلامة ابن القيّم في "زاد المعاد"، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري" على أن حاطب بن أبي بلتعة لا تنزّل عليه الأحكام لوجود مانع.[١]

ويستفاد من إقرار النبيّ –صلى الله عليه وسلم –لعمر بن الخطاب أن هذه الأوصاف تُقال في حق من فعل ذلك من سائر المسلمين لقيام المانع في حقّ حاطب دون غيره.

٤ . قال فؤاد الزنتاني: "ومع ذلك أنا لست من النوع الذي يحبّ القيل والقال في أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم –، وسيأتونني بدسكة أخرى وحديث آخر، ومراحل فؤاد الزنتاني في الخيانة العظمى، كمراحل شيخه في الغثائية، ونحو ذلك من هذا الكلام، وخذ، سيشبعون المواقع بهذا الكلام، أقولها وبكل صراحة إني راجع عن كلامي هذا كله، وأستغفر الله وأتوب إليه، ما دام الكلام فهم منه بعض الجهال أنه طعن في أصحاب النبيّ –صلى الله عليه وسلم –لا أرضى بهذا، ولا أجعل أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم –مجال لأن تلوكهم الألسن، وهذا قال، وهذا، لا أريد هذا، والذي أقوله الآن أستغفر الله وأتوب إليه، وأرجع عن هذا الكلام، واحذفوه من التسجيلات إن كان موجودًا".

أقول:

أ . كأن الأخ فؤادًا لم يخطئ لأنه يقول: "فأين الطعن في هذا الصحابي؟" وكأنه تراجع للمصلحة لأنه قال: "ما دام الكلام فهم منه بعض الجهال أنه طعن في أصحاب النبيّ –صلى الله عليه وسلم –لا أرضى بهذا".

ب . يا أخي فؤاد إن الذي صنف في مراحل أبي الحسن في الغثائية هو الشيخ ربيع –رحمه الله –، ولا حاجة لمثل هذا الكلام، لأنك إن لم تقصد شيئًا من الإساءة، فهو أسلوب غير لائق على أقل الأحوال، فأرجو منك أن تدقّق في عباراتك، ولا تفتح على نفسك شيئًا أنت في غنى عنه.

---

[١] انظر: "موسوعة الفقه على المذاهب الأربعة" (٢٠/١٦٢-١٦٣).

٥ . والخلاصة:

أ . أن حاطب بن أبي بلتعة –رضي الله عنه –ليس بخائن، وليس فعله خيانة.

وأما وصف عمر بن الخطاب له، فكان قبل بيان النبيّ –صلى الله عليه وسلم –الموانع من ذلك. فلا ينبغي إعادة وصف حاطب بتلك الأوصاف

ب . أن حاطب بن أبي بلتعة لا يُقال عنه إنه جاسوس.

حاشاه رضي الله عنه، وحاشا سائر أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، ورضي الله عنهم وأرضاهم –

.

٦ . كتبت هذا المقال للنصيحة، ولم أكتبه لإعادة الموضوع للساحة، وأظن أن الموضوع واضح، وأن الرسالة قد وصلت.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله

عليّ الحذيفي العدنيّ

عدن / اليمن